كلمة العدد

تمر الذكرى (13) للاحتلال الأميركي للعراق، وهذا توافق مصادفة مع صدور العدد (13) من مجلة حمورابي للدراسات. ليشكل هذا الاحتلال البغيض مفصلاً مهماً في تاريخه الحديث والمعاصر، لكونه قد ألقى الاحتلال بكلكله ليعصف بأوضاع العراق ويلفها لتتكور حول متغيرات باتت تتعايش وتتساكن لتصبح جزءاً من نواتج ومخرجات الاحتلال والتغيير من الخارج.

إن المجتمع الذي تتم حمايته من الخارج لا ينعم بالحرية، والحكومة التي يحميها أجانب... لن يقبلها أبداً شعب حر، كما يزعم (**نابليون بونابرت**)، لذلك لم تكن بناءات العراق ما بعد التغيير بعيدة عن رؤى وتأثيرات الأمريكان المحتلين وحلفائهم، بغية صوغ الأوضاع على وفق هدف استراتيجي، توافقَ عليه الأمريكان والإسرائيليين، وهو **إبقاء العراق ضعيفاً هشاً وغير مستقر**، وفهم هذا الهدف لا يعد فتحاً استراتيجياً أو إدراكاً غير مسبوق، فأبسط الناس يستطيع أن يصل إلى هذا، والمفارقة أن الطبقة السياسية (أحزاب ـ جماعات ـ شخوص)، وبما تحتضن من أسماء تعد مثابات في بناها وهياكلها الحزبية لا تقبل هذا مطلقاً. وتذهب لتفتش في زوايا ضيقة عما يغنيها عن التقاطع وربما عدم الرضا الأميركي عنها، لذلك تعطي هذه الأحزاب الأعلوية للرضا الأميركي الأوربي وحتى؟؟ على رضا شعبها ومواطنيها، وتمارس دوغماجية قل نظيرها للتشويش ولوي الحقائق وربما كي الوعي، وهذا كله بهدف التواجد على سطح الأحداث وحجز المساحات في الساحة السياسية وكسب المواقع والمناصب والتأثير في قرارات السلطة التنفيذية.

صحيح أن كل ذلك يندرج في خانة البراجماتية التي تعد واحدة من أبرز ما تركه (ميكافيلي) للسياسيين، بل وإنها تعد جزءاً مهماً من السلوك السياسي المعاصر، تشبهاً بالسياسة الأميركية والغربية، ولكن فات سياسيي العراق والمنطقة العربية عموماً، إن البراغماتية بنسختها حتى المبتذلة أميركياً، تقف عاجزة عن الحركة بإزاء الاستحقاقات الثابتة للشعب الأميركي، إذ لا يمكن التضحية بها كما هو شأن بلدنا وبلدان الأعراب، على مذبح المصالح الشخصية والحزبية.

إن التركة الثقيلة التي خلفها الاحتلال بعد عام 2003، على الرغم من إنهاء الحكم الديكتاتوري، إلا أنه أشبع المنظومة الحياتية للشعب العراقي بكل ما تحتضنه بأمراض ومشكلات وأزمات تظل عصية على الحل من دون عنف، وهذا التأسيس في مضامينه الحقيقية هو **تأسيس تمزيقي تقسيمي اضطرابي**، لن يصحو منه العراق بعد، وأن كل ما يجري هو عملية ترقيع وتأجيل لاستحقاقات التأسيس المشوه لدولة ما بعد التغيير.

إن الكثير من اختناقات مرحلة ما بعد التغيير كان ممكناً تجاوزها لولا التدخل الخبيث لدولة وسلطة الاحتلال من ناحية، واستمراء وتماهي الأحزاب ورجالاتها مع مقاصد المحتل، حتى باتت كل الأحزاب تعترف بأن البناءات الأولى والمسايرة العمياء لقرارات الاحتلال، هي منبت ما نحصده الآن، برغم من عدم رضاها آنذاك عمن ينتقد أو يحذر من مغبة الوقوع في محظورات فقدان السيطرة عما يجب أن يكون.

بل ذهبت الأحزاب فراداً أو جمعاً بإبعاد كل صوت وطني يقف باتجاه ما يتم صوغه في الغرف المظلمة لأجهزة المخابرات الأميركية والإسرائيلية وعملائها في الداخل وفي الإقليم، حالة التماهي الإنجرافي مع الاحتلال وعدم القبول بحق المواطنين من مقاومة الاحتلال، عن طريق تنظيمات ولدت من رحم المعاناة، وارتكزت في مشاريعها على شرعنة فعلها من موقف القانون الدولي، وقبلها من الشرعنة الإلهية بعد **مقاومة الاحتلال فريضة لا تقبل التأويل**، وإن أرادت الطبقة السياسية تغييبها قسراً.

ولعل التبجح الذي يتم سوقه اشباعاً لرغبات البعض أو هو من باب (**أخذ العزة بالإثم**)، في القدرة الاعجازية للمفاوض العراقي على أجبار المحتل بالانسحاب من العراق، ربما هي عند المتعقل (**أضغاث أحلام**) أو هو من باب الهرطقة السياسية، وصولاً إلى اللوثة العقلية، فالأمريكان لو سئلوا عما دفعهم إلى الانسحاب من العراق، لقالوا بوضوح تام وصريح لا يقبل اللبس أو سوء الفهم (**أنهم تجنبوا هزيمة ربما أعظم من هزيمة فيتنام**)، هذه كانت ممكنة التحقق على يد المقاومة الإسلامية في العراق، والذي أشار إلى فعلها قادة البنتاغون بدون خجل ولا مواربة، لا كما يفعل سياسيو العراق، مجداً للمقاومة الإسلامية التي أرغمت الأمريكان على تجرع الهزيمة وألزمتهم بإعادة حساباتهم لآلاف المرات، قبل أن يفكروا باحتلال بلدان المنطقة.

فالزمن القادم ليس زمن الأمريكان ولا أذنابهم ولا حلفائهم ولا طائعيهم، إنه زمن بدا ينبلج فجره وتشع شمسه، إنه **زمن الشعوب التي قهرت ردحاً طويلاً من الغرب بإمبرياليته المعروفة وبحلفائه من الحكام.**

د. عبدعلي المعموري

رئيس التحرير